بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

ذبيحة المسيح

من رسالة معلمنا القديس بولس الرسول إلى العبرانيين، الإصحاح العاشر:
لأن الناموس، إذ له ظلُّ الخيراتِ العتيدةِ، لا نفسَ صورةِ الأشياء، لا يقدرُ أبدًا بنفسِ الذبائحِ كل سنة، التي يقدّمونها على الدوام، أن يُكمِّلَ الذين يتقدَّمون وإلا، أفما زالت تُقدَّم؟! من أجل أن الخادمين، وهم مُطهَّرون مرةً، لا يكونُ لهم أيضًا ضميرٌ خطايا لكن فيها، كلَّ سنة، ذِكرى خطايا، لأنه لا يمكن أن دمَ ثيرانٍ وتيوسٍ يرفع خطايا لذلك، عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحةً وقربانًا لم ترِد، ولكن هيَّأتَ لي جسدًا بمحرقاتٍ وذبائحَ للخطية لم تُسرّ ثم قلتُ هنذا أجيء في درج الكتابِ مكتوبٌ عني لأفعلَ مشيئتك يا الله
إذ يقول آنفًا إنك ذبيحةً وقربانًا ومحرقاتٍ وذبائحَ للخطية لم تُرِد، ولا سُرِرتَ بها التي تُقدَّم حسب الناموس ثم قال هنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله ينزع الأول لكي يُثبت الثاني فبهذه المشيئة، نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" نعمة الله الآب تحل على أرواحنا، آمين
دعونا نتأمل في شخصية أيّوب فهو شخصيّةٌ متفرّدةٌ جدًّا بين البشر، لقد بلغ أيّوب شموخًا لم يبلغه إنسانٌ على وجه الأرض.
لقد وجد فيه الأيتامُ أبًا حانيًا يعطف عليهم، ووجدت فيه الأراملُ قاضيًا يُنصفهنّ كذلك، الفقراء والمحتاجون وجدوا في أيّوب كلّ ما يحتاجون إليه.
والعجيب أنّه رغم كلّ الأعمال الكثيرة التي قام بها أيوب، إلا أن الله سمح له بتجربة شديدة فقد أولاده، وفقد كلَّ مقتنياته، وأُصيب هو نفسه بمرض ولو تسأل: ما هي حكمة الله؟ لماذا سمح الله بكلّ هذا؟
يُقال: لأجل تنقية أيّوب تخيّلوا إنسانًا فيه كلّ هذه الصفات، ولكنّه غير نقيّ أمام الله، غير بار وهذه كانت حيرة أيّوب، وهذا هو السؤال الجوهريّ في سفر أيّوب كلّه: "كيف يتبرّر الإنسان أمام الله؟" أي أن محور سفر أيّوب بأكمله يدور حول هذا السؤال إذا كانت كلّ الأعمال التي قام بها أيّوب لم تُحسب له برًّا أمام الله، فالسؤال إذًا :كيف يتبرّر الإنسان أمام الرب؟
فلنبدأ أوّلًا بفهم معنى عبارة"يتبرّر الإنسان"، أو "إنسان بار"
الإنسان البار، هو الإنسان المقبول أمام الله. الإنسان البار، هو الذي لا يحسب له الربّ خطيّة وهذا هو معنى البر
أيوب، من خلال الأعمال التي كان يقوم بها، كان يشعر في نفسه أنه يمتلك كل البر فكيف بعد كل ذلك، يعتبره الله خاطئًا؟!
لدرجة أن أيوب قال "أنا بريء بلا ذنب لم أفعل شيئًا
بل، أكثر من ذلك، قال: "تبرّرت، والله نزع حقي" حتى أن أليهو، حين كان يكلم أيوب، قال له: "لقد حسبتَ نفسك أبر من الله"
وهنا تكمن نقطة خطيرة جدًّا رغم كلّ الأعمال التي قام بها أيوب، إلا أنه لم يكن بارا في عيني الله.
بمعنى أن الأعمال التي قام بها أيوب، جعلته مقبولًا في نظر الناس أمّا في نظر الله، فقال له "كلا، يا أيوب، أنت غير بار أمامي فمن يتبرر؟"
وهذا ما شعر به أيوب في الإصحاح التاسع، إذ قال "أنا أعلم أنك لا تبرئني. ومهما فعلت، فأنا خاطئ أمامك لن أتبرر أمامك، بل أنا مذنب فلماذا أتعب نفسي عبثًا

أي "لماذا أُتعب نفسي؟ أقوم بأعمال خير، وفي النهاية تعتبرني مخطئًا!
حتى أن أيوب في حيرته، قال "لو غسلتُ نفسي بالسَّلْق، ونظّفتُ يدي بالأُشنان، فإنّك في النقع تُغمِسني"
أي كأنه يقول "حتى لو اغتسلتُ بالسَّلْق – وهي مادّةٌ قويّةٌ للتنظيف – وبالأُشنان، وهي أشبه بالصابون، فإنّك ستجعلني كأنني ملوث
وقال أيضًا "سأبدو أمامك كأنّني مغسول بالوحل"
أي: "حتى لو اغتسلتُ بأفضل وسائل التنظيف، ما زلتُ غير بارّ في عينيك".
فبقيَ أيّوب في حيرةٍ عظيمة ومن هنا جاء سؤال أيّوب لله وقال: "تابعتني بعدوّي، فسألتُ ربّي ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا ليرفع عنّي عصاه"
فيا أحبّائي، كانت هذه هي حيرة أيّوب، وهو ذات السؤال الذي يدور حوله سفر أيّوب بأكمله:
"كيف يتبرّر الإنسان أمام الله؟"
فما علاقتنا نحن بهذا الأمر؟ وما أهميته لنا؟
إنّه أمرٌ بالغ الأهميّة، إذا كان أيّوب، بكلّ قامته ومقامه في نظر الناس، لم يُحسب بارًّا أمام الله،
فإلى أين نمضي نحن؟! إذا كان أيّوب نفسه، مع كثرة أعماله، يُستذنب من الله ويُقال له: "أنتَ لستَ بارًّا"
فما حالنا نحن؟!
تأملوا في أعمال أيوب:
سأقرأ عليكم جزءًا بسيطًا من سفر أيّوب، الإصحاح التاسع والعشرين، لأُبيّن لكم ما هي الأعمال التي قام بها أيّوب، ورغم ذلك لم يُحسب بارًّا أمام الله.
قال أيّوب، وهو يخاطب الله: لأنّ الأُذنَ سمعت فطوّبتني، والعينَ رأت فشهدت لي، لأنّي أنقذتُ المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين له بركةُ الهالكِ حلَّت عليَّ، وجعلتُ قلب الأرملة يُرنّم لبستُ البرَّ فكساني، كجُبَّةٍ وعمامةٍ كان عدلي كنتُ عيونًا للعُمي، وأرجلًا للعُرج أبًا كنتُ للفقراء، ودعوى لم أعرفها فحصتُ عنها هشّمتُ أضراس الظالم، ومن بين أسنانه خطفتُ الفريسة".
أي أن أيوب كان يقول:

- الإنسان المظلوم كنتُ أنقذه.
- الفقير كنتُ أتولّاه كأبٍ حانٍ.
- القضية التي لم أكن أعرفها، كنتُ أبحث عنها بنفسي لأتحقّق من العدل فيها.
- الإنسان الظالم كنتُ أحطّمه، والمظلوم كنتُ أفتديه.

ورغم كلّ ذلك، يقول الله له: "أنت غير بارّ أمامي".
لقد قال أيّوب عن نفسه: "كمن يُعزّي النائحين".
أي: الإنسان الذي كان في حزن، كنتُ أذهب لأواسيه وأعزّيه.
حتى قال أيضًا: "جعلتُ قلب الأرملة يصرُّ".
تخيّلوا! امرأة أرملة، شابّة، حزينة، يملأ الحزن كيانها بالكامل، حزنٌ لا يمكن لإنسانٍ أن يتصوّره فحالة الأرملة من الحزن ليست بالأمر السهل أو المفهوم بوضوح لنا كبشر.
ورغم ذلك، أيّوب، بكلّ هذا الحنان، كان يُفرح قلب الأرملة، ويعزّي النائحين.
تصوّروا إنسانًا بهذه الأعمال الصالحة، ومع ذلك، يقول له الله "أنت غير بارّ أمامي"!
من السهل أن يتبرّر الإنسان أمام الناس... لكن، كيف يتبرّر أمام الله؟!
قد ترى قاضيًا يحكم على مجرم، بينما هذا القاضي في ذاته قد يكون أشرّ من المجرم!
ولكن، في أعين الناس، هو القاضي العادل أما في عين الله، فالأمر مختلف تمامًا!
الله يرى خفايا القلوب! يا أحبّائي، إن دينونة الله أمرٌ مُرعِب!
دينونة الله لا تحكم فقط على أفعال الإنسان، بل على كلماته، وأفكاره، ونواياه!

فلو أن إنساناً نوى أن يفعل شرًّا، ولم يفعله، فهو مدانٌ أمام الله!
كما قال الرب يسوع: "من نظر إلى امرأةٍ ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه" يا رب، هذه مجرّد نظرة!
لكن، هذا هو الله، الديّان العادل فمَن، يا أحبّائي، يستطيع أن يقف أمام الله ويتبرّر؟! مَن هو الإنسان الذي يقف أمام الله ويُحسب بلا خطيئة؟!
لذلك، وقف معلمنا بولس الرسول أمام الله وقال: "ليس ساكنٌ في جسدي شيءٌ صالح"
لا يوجد شيءٌ صالحٌ في الإنسان! ونفس الرب قال: "ليس بارٌّ ولا واحد"!

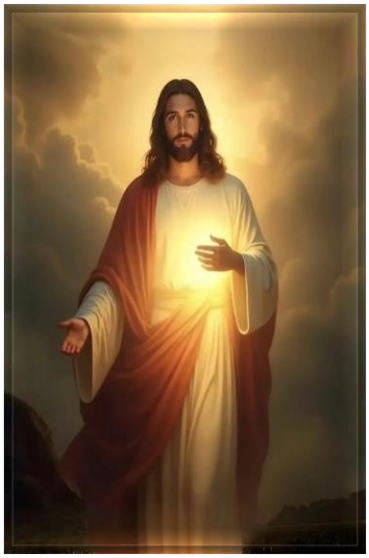

فالسؤال الآن يا أحبّائي:
كيف يتبرّر الإنسان أمام هذا العدل الإلهي؟
كيف يمكن لإنسانٍ أن يقف أمام الله كمن هو بلا خطية؟
كيف يُغفَر له؟!

هذا هو عمل المسيح على الصليب

في الكتاب المقدّس، أروع إصحاح يتحدّث عن ذبيحة المسيح على الصليب هو الإصحاح العاشر من رسالة العبرانيين، الذي قرأنا جزءًا منه في بداية هذه المحاضرة.
هذا الإصحاح يكشف لنا عن عمل ذبيحة الصليب، وهو ما سنتأمّل فيه معًا، بنعمة الله.

* الجزء الأوّل من الإصحاح العاشر (من العدد 1 إلى العدد 10) يتحدّث عن أن ذبيحة المسيح تزيل الخطية، أو ترفع الخطية.

الخطية هي المشكلة الأولى للإنسان نحن لا نملك في حياتنا مشكلةً أعظم من الخطية.
كما قال العلامة أوريجانوس: "الخطية هي الكارثة الوحيدة في العالم" وأيّ إيمان، أو دين، أو عقيدة، لا قيمة لها إن لم تُعالج مشكلة الخطية أي: ما هو هدف التديّن؟ أن يحلّ للإنسان مشكلة الخطية.
فلننظر إلى ما قاله معلمنا بولس الرسول في رسالة العبرانيين:
"لأنّ الناموس، إذ له ظلّ الخيرات العتيدة، لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبدًا، بنفس الذبائح كل سنة التي يُقدمونها على الدوام، أن يُكمّل الذين يتقدّمون" (عب 10 : 1)
الناموس – أي الوصايا التي أعطاها الله لموسى– هو الأساس الذي قامت عليه الذبائح وأساس عبادة شعب إسرائيل كلهم، بولس الرسول يقول إنّ هذا الناموس هو: "ظلّ للخيرات العتيدة"
أي أنّه ليس الحقيقة الكاملة، بل هو مجرّد ظلّ، لماذا نقول "ظل"؟ ولماذا لا تكون الذبائح هي العلاج الدائم للبشرية؟ لماذا نعتبر الذبائح رموزًا فقط، وليست هي الحل النهائي؟
لأن الذبائح كانت تُقدَّم كل سنة كان لدى شعب إسرائيل يومٌ يُسمّى "يوم الكفّارة" في هذا اليوم، كانوا يُحضِرون تَيْسَين كانوا يُقدّمون أحد التيسين كذبيحة، وكان هارون رئيس الكهنة يقوم بالاعتراف بكلّ خطايا الشعب، ثم يُذبح هذا التيس كذبيحةٍ كفاريّة عن خطاياهم.
هذا الأمر كان يتكرّر كل سنة، في كلّ عيد كفّارة كانوا يُقدّمون ذبيحة، لأنّ هذه الذبائح ليست قادرة أن تُوصِل الإنسان إلى الكمال أن يكمّل الذين يتقدّمون.
فما الهدف إذًا من الذبائح والطقوس والفرائض في العهد القديم؟ هي مجرّد ظلٍّ للخيرات العتيدة أي: هي إعداد للحقيقة، وليست هي الحقيقة نفسها.
الناموس كان يعبر عن الحقائق بتعبير مادي ملموس، لكي يتقبّلها عقل الإنسان.
مثال: في يوم الكفّارة، يدخل الناس إلى الهيكل، فيجدون حجابًا (ستارًا) يفصل بينهم وبين ما بالداخل حجابًا يفصل بين الإنسان والله.

وهكذا، ترسّخ في ذهن الإنسان أنّ:

- الله في جانب، ونحن في جانب آخر،
- وأنّ هناك فاصلًا بيننا وبين الله.

الدرس الثاني الذي أراد الله أن يُعلّمه للإنسان من خلال ظل الخيرات:

"سنختار منكم واحدًا – هو هارون – ليكون رئيس كهنة، ومهمّته أن يدخل إلى قدس الأقداس كشفيع عنكم، ليقوم بدور الوسيط بينكم وبين الله".

لماذا يحتاج الإنسان إلى وسيط؟ لأنّ الله لا يحتمل أن يرى الإنسان في حالة الخطية، فصار هارون هو الوسيط الذي يدخل بالنيابة عننا أمام الله لكي يرفع عنا حكم الموت ، وكان عليه أن يُقدّم ذبيحة، ويأخذ دمها، ويدخل به إلى الأقداس وكأنّ هذه الذبيحة هي فدية أو كفّارة عن الشعب.

* ثلاث حقائق ترسّخت في ذهن الإنسان في العهد القديم:

1. هناك حجاب بيننا وبين الله.
2. الإنسان يحتاج إلى وسيط.
3. الإنسان يحتاج إلى موت كفّاريّ لكي يُرفَع عنه حكم الموت.

هل الناموس حلّ المشكلة؟ الجواب :لا. الناموس فقط أوضح الحقيقة، لكنه لم يُقدّم العلاج.

الناموس أوضح أن هناك إمكانية لرفع حكم الموت عنكم لكن لا نعرف بعد الكيفيّة؟

فالناموس لم يرفع الموت عن الإنسان، لكنه أشار إلى وجود طريق للنجاة منه.

فصار العهد القديم كلّه هو ظلّ الخيرات العتيدة.

والآن، فلننتقل إلى العهد الجديد، وننظر إلى الصورة في نور المسيح:

لدينا الآن وسيط بين الله والناس، وهو :الإنسان يسوع المسيح .

نحن، بخطايانا، تحجب الله عنّا. فنحتاج إلى وسيط، واحد منّا،

يدخل نيابةً عنّا إلى محضر الله.

في العهد القديم، كان الوسيط هو هارون. أمّا الآن، فالمسيح هو الوسيط.

لأنّه أخذ جسدنا، فصار واحدًا منّا وهو مساوٍ لله في الجوهر، فمن حقّه أن يدخل أمام الآب السماوي فصار يسوع المسيح هو:

"وسيط عهد أفضل"

يدخل بدم نفسه يدخل وآثار المسامير في يديه، والطعن في جنبه

فهو الكاهن، رئيس كهنتنا الأعظم وهو الذبيحة في آنٍ واحد.

ليس كاهنًا يحمل دم ذبيحةٍ أخرى، بل هو نفسه الذبيحة، لأنّه ذُبِح على الصليب من أجلنا.

لذلك، عندما صُلِب المسيح، انشقّ الحجاب من أعلى إلى أسفل.

"الناموس هو ظلّ الخيرات العتيدة" أي أن كلّ الرموز والطقوس كانت تشير إلى ما سيحدث في المسيح.

لكي يتبرّر الإنسان أمام الله، يجب أن يكون هذا البرّ مؤسس على عدل الله، وعلى رحمته.

عدل الله ورحمته في الصليب

العدل هو أنني حينما أخذتُ طبيعتكم البشرية، متُّ فداءً عنكم فقد تمّ عدلي".

الرحمة هي أنني بموت ابني على الصليب، وهبت العالم كله الخلاص.

هذا هو بر الله برٌّ مبنيٌّ على أساس الصليب

يقول بولس الرسول "وإلا، أفما زالت تُقدَّم؟! من أجل أن الخادمين، وهم مُطهَّرون مرة، لا يكون لهم أيضًا ضمير خطايا؟ لكن فيها كلّ سنة ذكر خطايا، لأنّه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عب 10 : 2 – 5)

نعود إلى العهد القديم كنّا نقدّم الذبائح، لكن السؤال هل هذه الذبيحة حلّت المشكلة من جهة برّ الله؟ لو كانت الذبيحة قد حلّت المشكلة، فما الحاجة إلى تكرارها؟ لو دخل هارون مرّة واحدة، وذبح، وقدّم الدم، وانتهت المشكلة، فلماذا نكرّر الذبيحة كلّ سنة؟ ما هو الداعي لتكرار الذبيحة؟! نكرّرها، لأنّ الذبيحة لم تحلّ المشكلة تكرارها يعني أنّها ناقصة، لماذا تكرار الذبائح في العهد القديم؟
السبب هو أن تكرار الذبيحة السنوي كان تذكيرًا مستمرًا بأن الخطية لم تُرفع بعد، لو أن هارون في أول سنة دخل وقال الله المشكلة حُلت لكان الناس اعتقدوا أن خلاصهم قد تمّ بالكامل لكن الله قال: يجب أن تُقدَّم الذبيحة كل سنة، لأن الذبيحة لم تُنهِ المشكلة بعد، كل سنة يتذكر الإنسان أن الخطية ما زالت قائمة، وأنه لم يتحقق الشفاء الحقيقي.

* مثال بسيط لفهم الموقف

تخيل إنسانًا مريضًا يؤتى له بدواء، فيأخذه لكنه لا يشفى فعندما يرى الدواء أمامه، يتذكر أنه لا يزال مريضًا الدواء الذي ظنّ أنه سيشفيه، أخذه ولم يشفَ فتكرار رؤية الدواء يعني تكرار ذكرى المرض.
وهذا هو بالضبط ما فعله الله في العهد القديم، قال لهم: قدموا ذبيحة كل سنة، لكي لا تنسوا أنكم ما زلتم خطاة، وأن المشكلة لم تُحل بعد

* هذا السر أدركه أبرار العهد القديم جيدًا.

اسمعوا ما قاله داود النبي، مثالًا واضحًا على هذا الأمر قال آية حفظناها جميعًا، لكن ربما لم نتأمل فيها كفاية "قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدّد في أحشائي".
داود كان يُقدّم الذبائح، هل انحلت المشكلة عند داود؟ لماذا يطلب قلبًا جديدًا؟
قال ضميري لا يزال يُتعبني، لا أزال أشعر بالذنب، ولا أزال أدرك أنني خاطئ أمام الله"
لهذا قال "قلبي قد فسد، وضميري موجوع، فاصنع لي قلبًا جديدًا"

*ما معنى ضمير لا يهدأ؟

بولس الرسول قال "لا يكون لهم أيضًا ضمير خطايا" أي أن الذبائح لم تحل المشكلة، فالإنسان لا يزال يشعر بوجود عداوة وخصومة بينه وبين الله، وأن ضميره لا يزال يؤنبه داود يصرخ لله ويطلب قلبًا جديدًا قال داود لأنك لو أثرت الذبيحة لكنت الآن أعطي لكنك لا تسر بالمحرقات"

هل يعقل أن داود يقول هذا رغم تقديمه للذبيحة؟
نعم، لأن ضميره كان يوجعه، وكانت الذبيحة تعبيرًا عن وجعه الداخلي، لكنها لم تَزرع في قلبه السلام الحقيقي فحتى مع تقديم الذبائح، كان يشعر "لو كانت الذبيحة تريح ضميري، لكنت قدمتها في كل وقت"

هل الله هو من طلب الذبائح؟
نعم، لكن داود يعبر عن توتر ضميره وحاجته لرحمة أعمق من مجرد الذبائح.
لهذا قال بولس الرسول "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" ورغم ذلك هناك خصومة وعداوة شديدة بين الإنسان وبين الله، رغم أنه ينفذ كلام الله ويقدم الذبيحة فدم التيوس والعجول لا يرفع الخطية

*والسؤال هنا ما هو العلاج؟؟ قال الرب أنا قلت لكم هذا هو ظل الخيرات العتيدة فدعونا الآن نرى الخيرات ذاتها

يقول بولس الرسول لذلك، عند دخوله إلى العالم، قال: ذبيحة وقربانًا لم ترِد، لكن هيّأت لي جسدًا بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسَرّ" ويكمل بعدها بآية أخرى: "ثم قلت ها أنا آتي لأفعل مشيئتك يا الله" (عبرانيين 10: 5-7) هذا الجزء هو اقتباس من مزمور 40، وهو نبوة قالها داود النبي عن السيد المسيح.
فقال عند دخوله إلى العالم، أي عند تجسده "بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسَرّ"
أي أن الذبائح لا تُرضيك يا رب فما الذي يُرضيك؟ يُكمل قائلًا "ها أنا آتي لأفعل مشيئتك يا الله".
هذه هي مسرّة الله الحقيقية أن يخضع الإنسان لمشيئة الله خضوعًا كاملًا هذه هي التي تُرضي الله، وليست الذبائح الشكلية حتى أن الله قال في أيام إشعياء النبي"لماذا لي كثرة ذبائحكم يا شعب إسرائيل؟ من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دياري؟"
شيء عجيب! يا رب، ألم تكن أنت من أمرنا بالذبائح؟ ألم تُعطنا في سفر اللاويين تفاصيل دقيقة جدًا عن كل نوع من الذبائح؟! قال: "نعم، لكن قصدي لم يكن الذبيحة في ذاتها.
ما أنا فاعل بالذبيحة إذا لم يكن هناك قلب خاضع، وطاعة كاملة المقصود هو أن يقدّم الإنسان قلبه خاضعًا لله، أن تكون إرادته خاضعة لمشيئة الله حينها، يقبل الرب الذبيحة.
أما إذا لم تكن هناك طاعة، ولا خضوع كامل، فالذبائح لا تسر الرب، ولا تُرضيه لهذا، قال السيد المسيح عند تجسده "جئتُ لا لأقدّم ذبيحة، بل لأفعل مشيئتك يا الله" ومن هنا سمت ذبيحة المسيح عن كل الذبائح، لأنها وحدها فيها خضوعًا كاملًا لمشيئة الله حيث أن خطيئة آدم في الأصل كانت تمرّدًا على الله، لأن آدم رفض أن يخضع لمشيئة الله، بل سار بحسب رأيه، وبحسب فكره، وبحسب مشيئته الخاصة.
هذه هي خطيئة الإنسان، وهذا ما أحزن قلب الله، وهو ما يعتبر تعدي على قداسة الله لأن الإنسان رفض أن يخضع لمشيئة الله. من أجل ذلك، جاء المسيح في طاعة كاملة للآب، لكي يُصلح ما أفسده آدم.
فقال "هأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله" جاء مطيعًا، خاضعًا، عوضًا عنّا.
ولهذا، يا أحبائي، أيّ إنسان مهما صنع من أعمال بر، من صدقات، من صلوات، ولكن ليست لديه طاعة كاملة لله وخضوع كامل لمشيئته، فهو غير مقبول أمام الله هذا هو عدل الله.
أيّ إنسان، بأي مبدأ، بأي دين، لو فعل كل البر،لكن ليس في حياته خضوع كامل دائم لله، فهو غير مبرر أمام الله هذا هو البر الذي يُرضي الله.

ولهذا، يا أحبائي، لا أعرف لماذا في كثير من الأحيان، نُكثر من الحديث عن الصليب — وهو بالفعل سر خلاصنا وسر فرحنا ولكننا نغفل عن التأمل في مسيح الناصرة، الذي في تجسده، عاش في خضوع كامل للآب، ورفع المسيح صورة الإنسان إلى الصورة الأولى، التي كانت في ذهن الله عندما خلق آدم، حين رآه "حسنًا جدًا" فرفع المسيح الطبيعة البشرية إلى هذا المستوى.

لذا، يا أحبائي، أعطانا المسيح أسمى مثال لحياة إنسان وطأت قدماه الأرض. إنه يسوع الناصري، الذي عاش في عالم مليء بالبؤس، بالحزن، بالشقاء، بالألم، بالظلم، ومع ذلك، عاش يواسي الحزانى، وصار نورًا للذين في الظلمة. هكذا يكون الإنسان حين يعيش بحسب مشيئة الله وفي خضوع كامل لإرادته.

ولهذا قال معلمنا بولس الرسول "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارًا" رومية 5 : 19
أي أنه بمعصية إنسان واحد (أبونا آدم) أصبحنا كلنا خطاة، وبطاعة الواحد (تجسد المسيح لكي يفعل مشيئة الآب) بطاعته للآب سيجعل الكثيرون أبرارًا.

وقبل أن نُكمل رسالة العبرانيين، دعونا نقف قليلًا عند المزمور الأربعين، الذي اقتبس منه بولس الرسول هذه النبوة. نقرأ في المزمور "بذبيحة وتقدمة لم تسر أذني فتحت" (مز 40 : 6) بينما بولس الرسول عندما

اقتبس هذه النبوة في العبرانيين، قال "ذبيحة وقربانًا لم تُرِد، لكن هيأتَ لي جسدًا" (عب 10 : 5) قد يبدو أن هناك اختلافًا بين النصين!
فكيف يقول المزمور "أذنيّ فتحت"، بينما بولس يقول "هيأت لي جسدًا"؟
* هنا نقطتان مهمتان يجب أن نفهمهما:
بولس الرسول كان يستخدم الترجمة السبعينية، وهي الترجمة التي نُقلت من العبرية إلى اليونانية قبل الميلاد بحوالي 270 سنة، على يد 71 شيخًا من شيوخ اليهود وهي نفس الترجمة التي كان يستخدمها الرسل والآباء الأولون هذه الترجمة تتضمّن أيضًا الأسفار القانونية الثانية التي تحفظها الكنيسة. ولذلك، فإن كان بولس - وهو يكتب بوحي الروح القدس - قد اقتبس من الترجمة السبعينية،
فهي ترجمة موثوق بها ولا غبار عليها، وهي نفس الترجمة التي تتضمن الأسفار القانونية الثانية التي تسلّمتها الكنيسة، على خلاف ما ترفضه بعض الطوائف اليوم.

النقطة الثانية:
1.لا تنزعج من الفرق بين "أذنيّ فتحت" و"هيأت لي جسدًا"، لأن المعنى واحد تمامًا كيف؟
في سفر الخروج، الإصحاح 21، هناك شريعة تُسمّى "شريعة العبد العبراني" تقول: إذا كان هناك عبد يعمل لسيّده لست سنوات، في السنة السابعة يخرج حرًا لكن إن قال العبد: "أُحب سيدي وبيت سيدي وامرأتي وأولادي، لا أريد أن أخرج حرًا" فماذا يحدث؟ يأخذه سيده إلى الباب، ويثقب أذنه، وهذا يعني أن العبد صار خاضعًا له إلى الأبد.
فعبارة "أذنيّ فتحت "في المزمور تشير إلى نفس المعنى : "أنا خاضع لمشيئتك يا رب كل أيام حياتي".
وهذا يساوي تمامًا قول بولس الرسول "هيأت لي جسدًا"، أي أن السيد المسيح عاش طول أيام تجسده في خضوع كامل للآب فقال "هأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله".

ذبائح العهد القديم، ومحرقاته، وقرابينه، لم تسرّ الله بل لم يريدها ، لأنها لم تكن حسب إرادته، ولا حسب مسرّته. فما هي المسرّة إذًا؟
مسرّة الله كانت عندما تجسّد الابن وخضع لمشيئته خضوعًا كاملًا، وأطاع حتى الموت، موت الصليب.
لم يكن موتًا عاديًا، بل موتًا مهينًا، خزيًا، عارًا لذلك، قال بولس الرسول "فبهذه المشيئة نحن مقدّسون، بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة". (عبرانيين 10:10)
بخضوع الابن للآب خضوعًا كاملًا، صرنا مقدّسين، صرنا في نظر الله قديسين بلا لوم، صرنا أبرارًا بدم المسيح.
بعض الطوائف، للأسف، تسيء فهم هذا الأمر، وتظن أننا نبالغ في تقدير الجهاد أو الصلوات أو المطانيات.
لكن نحن نقول بوضوح نحن مخلّصون فقط بدم المسيح لا بالصلاة، ولا بالصوم، ولا بالمطانيات.

لكن لماذا الجهاد (الصوم والصلاة والميطانيات وطلب مراحم الله) إذًا؟
الجهاد هو إعلان عن تمتعنا بخلاص المسيح، نحن لا نُصلي كي ننال الخلاص، بل لأننا مخلّصون، لا نُصلي ولا نصوم لكي يرضى الله عنّا، بل لأننا قد نلنا رضاه بدم ابنه، جهادنا هو تعبير عن ثباتنا في المسيح.
لذلك قال "الذي يقول إنه ثابت فيه، ينبغي أن يسلك كما سلك ذاك".
فإن كنت تقول أنك ثابت في المسيح، ولكنك لا تسلك كما سلك هو، فأنت لست ثابتًا فيه حقًا.

إذا جهادنا لأننا تمتعنا بخلاص المسيح ونريد أن نسلك بحسب الدعوة التي دعينا إليها

* النقطة الأولى إذًا أن ذبيحة المسيح رفعت الخطية.
* النقطة الثانية أن ذبيحة المسيح لا تتكرر.

* نقرأ في العهد القديم:
"وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم، ويقدّم مرارًا كثيرة تلك الذبائح عينها، التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية"

- كل كاهن يموت، ويأتي غيره الكاهن لا يحيا للأبد.
- كل يوم تُقدّم نفس الذبائح فالذبيحة متكررة.
- الذبيحة لا تسطيع أن تنزع الخطية.

إذا كانت الذبيحة صالحة، فلماذا نكرّرها؟ التكرار دليل على أنها غير كافية.
إذًا، في العهد الجديد نحتاج إلى:

- كاهن لا يموت، ذبيحة لا تتكرر بل تقدم مرة واحدة فقط ، ذبيحة لها القدرة على رفع الخطية ورفع الموت عن الإنسان نهائيًا، ذبيحة تحل المشكلة إلى الأبد.

فأين نجد ذلك؟ يقول بولس الرسول في المقابل "وأما هذا، فبعدما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عب 10: 12)
أي أن المسيح:

- قدّم ذبيحة واحدة عن الخطية.
- ثم جلس إلى الأبد، لا يتكرر موته.
- هذه الذبيحة كافية، كاملة، مخلّصة.

ذبيحة الصليب لا تتكرر، لكنها تمتد
قد يعترض البعض – كما يحدث من بعض الطوائف – ويقول: أنتم في الكنيسة تقدمون "ذبيحة" في كل قداس! فهل تُكرّرون ذبيحة المسيح؟
الرد: نحن نؤمن أن ذبيحة الصليب لا تتكرر أبدًا هي نفس الذبيحة التي قدمت يوم خميس العهد، الإفخارستيا هي امتداد لذبيحة الصليب
أي أننا نشارك في الذبيحة الواحدة الأبدية التي تمت مرة على الصليب الذبيحة التي في كل قداس، وفي كل كنيسة، وفي كل زمان ومكان، هي نفس ذبيحة الصليب، وليست ذبيحة أخرى.
هذا هو قوة ذبيحة المسيح "لأنه بقربان واحد، قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عب 10: 14)
يا لعظمة ذبيحة المسيح! ذبيحة واحدة، لكنها كاملة ومخلّصة إلى الأبد.

هل لنا دور؟ هل بعد أن أكمل المسيح الخلاص، لنا نحن دور

1. دورنا أن نسلك كقديسين "كونوا قديسين كما أني أنا قدوس" (1بط 1: 16)

هذا هو جهادنا نحن مقدسين بهذه المشيئة، المسيح تمم خلاصنا للأبد على الصليب أما جهادنا فيكون لكي نسلك كقديسين، نسلك بحسب الدعوة التي دعينا إليها.
لكن "أنا خاطئ، وأخطئ كل يوم. فهل أنا مقدس؟ هل أنا في المسيح؟"
يقول بولس الرسول "فمن ثم يقدر أن يخلّص أيضًا إلى التمام، الذين يتقدّمون به إلى الله، إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم". (عب 7: 25)
نعم، نحن نخطئ كل يوم، لكنه يقف عن يمين الآب في كل حين يشفع فينا إلى نهاية حياتنا

فما هو المطلوب؟ أن نتمسّك به، أن نتقدم به أمام الآب.
عظمة خلاصنا أن الآب أرسل ابنه، والابن خضع في مشيئة كاملة للآب، والروح القدس يشهد لنا أننا قديسين بلا خطية أمام الآب "هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد" (عب 10 : 16 – 17)

نحن نخطئ لكن بشهادة الروح القدس روح القداسة لن أذكر خطاياكم وتعدياتكم فيما بعد، كن معترفًا بخطيئتك، تتناول من جسده ودمه، تأتي قارعًا صدرك ومعترف بخطأك. لا يذكر خطيئتك وتعدياتك فيما بعد؟
أي خلاص نرجوه بعد ذلك .. فعلًا كما قال القديس بولس الرسول "صنع معنا أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر"
لم يخطر أبدًا على فكر إنسان أن الابن يقدم ذاته فداءً ويكمل خلاصنا للأبد ورغم أخطاءنا لأننا في الجسد في عالم وضع في الشرير عندما نتقدم به للآب لن يعود يذكر خطايانا فيما بعد
كانت المرأة الزانية جالسة عند قدميه، في انكسارٍ وتذلل، رأسها في التراب.
قال لها "يا امرأة، أما دانك أحد؟" قالت له "لا أحد، يا سيد" قال لها "ولا أنا أُدينك، اذهبي، ولا تخطئي أيضًا" فأين هي خطاياها؟ لن أذكر خطاياها وتعدياتها فيما بعد
سواء فعلتها بمعرفة أو بغير معرفة،بقصد أو بدون قصد، لن أذكر خطاياها وتعدياتها فيما بعد.
وإنما، حيث تكون مغفرة كهذه، لا يكون بعد قربان عن الخطية لسنا بحاجة إلى أن نُقدِّم ذبيحة مرة أخرى.

بالخلاص الذي صنعه المسيح أصبحنا محبوبين جدًا أمام الله، محبوبين على أي أساس؟ على أساس أنك، في عيني الله، بار ليس بذاتك، بل بذبيحة ابنه.

2. أصبح الشيطان لا سلطان له علينا ماذا سيفعل؟ هل يُسقِطني في الخطية؟ لكن لي شفيع!
أنا لستُ مُتهاونًا، لستُ مُتكاسلًا، لستُ مُستَخفًّا، لكنني ضعيف، أنا إنسان ولي شفيع أمام الآب، في كل حين، يشفع فيَّ ودوري أن أتمسّك به.

3. أصبح للإنسان نجاةٌ من دينونة الله العادلة الله الذي لم يتبرر أيوب أمامه، نحن بكل ضعفنا صرنا أبرارًا في عيني الله، برٌّ مؤسَّس على عدل الله، وعلى رحمته، مؤسَّس على الصليب.

في الجزء الأخير من الإصحاح، قال بولس الرسول ثلاث نقاط أساسية، لأنها تمثّل الجانب العملي:

1. امتياز لنا كمسيحيين.
2. تحذير.
3. تشجيع.

أولًا، ما هو امتيازنا؟

يقول بولس الرسول "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع"
في العهد القديم، كان واحد فقط، رئيس الكهنة، هو من يدخل مرة واحدة في السنة، فقط، إلى قدس الأقداس ولا يدخل هكذا ببساطة، بل وهو يرفع بخورًا كثيرًا جدًا، لكي لا ترى عينه تابوت العهد مباشرة.
لأنه مكتوب: "لا يراني الإنسان ويعيش" وكانوا يدخلون بالقرعة، حتى إلى "القدس"، ليس "قدس الأقداس "فقط، بل حتى القدس، الذي يُرفع فيه البخور، كانوا يُجرون قرعة لمن يدخل.
أي أن الكاهن قد يعيش ويموت دون أن يُتاح له الدور ليدخل ويقدِّم بخورًا أمام الرب!
أما نحن؟ أنتَ وأنا؟"فإذ لنا أيها الإخوة ثقة"...يقين بالدخول إلى الأقداس، بدم يسوع.
أصبح من حقنا جميعًا اليوم أن ندخل إلى الأقداس لا شاروبيم بسيفٌ نار متقلّب يمنعنا من الدخول، ولا أجناد الشر الروحية في السماويات تقدر أن تقف وتشتكي علينا، ولا حتى وخزات ضميري وخجلي تمنعني من أن أجلس أمام الرب! دم يسوع ، مرشوش لأجلنا.
إذ لنا ثقة، أيها الإخوة، بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع لا أحد يستطيع أن يقف في وجهك!

وهذا هو عن واقع عبادتنا وصلاتنا اليومية.
أنتَ وأنا نقف أمام الرب، ونتقابل معه، ولا يستطيع أحد أن يقف ليشتكيك هذه خبرتنا اليومية في الصلاة.
بولس الرسول يقول أمام هذا الامتياز العظيم، لنا كمسيحيين، يجب أن نتمسّك بالإيمان، والرجاء، والمحبة.
"لنتقدَّم بقلبٍ صادق، في يقين الإيمان" (عب 10: 22)
أنتَ لك ثقة، لك جرأة، لك دخول إلى الرب فما هو المطلوب منك إذًا؟
الذي يُحزن الله في صلواتنا وجهادنا الروحي، هو أن نقف أمامه بلا قلبٍ صادق جهادك أن تقف أمام الرب بقلب منحاز تمامًا له أن تصلب فكرك في حضرته.
أنا أقرع صدري وأُقدِّم تضرعاتي أمام الرب، لأنني أقول له "يا رب، أريد أن أتقدَّم إليك بقلب صادق.
أريد أن يكون كل قلبي مائلًا إليك، لا مائلًا للعالم"
فكلما وجدت قلبي يميل للعالم، أقرع صدري لكنني لا أقرع صدري لكي أنال الخلاص بل أنا قد نلتُ الخلاص، وأنا واقف أمام الآب. وكلما ذهني تشوّش في الصلاة، أقرع صدري.
لكن إن كنت لم أتمتع بالخلاص أصلًا، فمن الذي أوقفني أمام الآب؟ إذًا، نحن لا نقرع صدورنا لكي ننال الخلاص، بل نقرعها لأننا خلصنا، ونُريد أن يكون لنا قلب صادق ويقين الإيمان.

"مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير".
في العهد القديم، كانوا يأخذون الدم ويرشّونه على أجساد المتطهرين أما نحن، فدم يسوع، أين يُرش؟
يُرش على الضمير فعندما تتناول، هذا التناول ينقّي الضمير الداخلي للإنسان.

"مغسولة أجسادنا بماء نقي".
ما هو هذا الماء؟ ماء المعمودية.
المعمودية والتناول، هما ثمرة الصليب.
فدع عمل الصليب، من خلال التناول والمعمودية، يُنقّي قلبك من الداخل لذلك نتناول كل يوم، لأننا من الذين غسلوا ثيابهم وبيّضوها في دم الخروف هذا من جهة الإيمان.

أما من جهة الرجاء، فقال:
"لنتمسّك بإقرار الرجاء راسخًا، لأن الذي وعد هو أمين".
اجعل عندك رجاء أن المسيح سيُكمِّل معك إلى النهاية وعده أنه يُكمِّل إلى الأبد المُقدَّسين.
فلا تُفلت هذا الرجاء
وعده: "لا أذكر خطاياكم وتعدياتكم فيما بعد" فلا تُفلت هذا الرجاء مهما وقعت، تمسّك بإقرار الرجاء راسخًا، لأن الذي وعد هو أمين.
هو وعدنا بكثير، وعدنا أن يُكمِّل خلاصنا إلى النهاية فلتمسّك بهذا الرجاء

وأما المحبة؟ "ولنلاحظ بعضنا بعضًا، للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة"
إن كان الإيمان والرجاء يدفعان النفس للدخول إلى الأقداس، فالمحبّة ترفض أن تدخل بمفردها، بل تبحث عن إخوتها ولذلك قال بولس الرسول "لنلاحظ بعضنا بعضًا، للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة".
الأعمال الحسنة ليست لننال بها الخلاص، بل هي تعبير أو إعلان عن تمتُّعنا بالخلاص.
أنا لا أعمل عملًا حسنًا لأخلُص، بل لأني قد تمتّعت بالخلاص، وهذه ثمرة من ثماره.
"غير تاركين اجتماعنا، كما لقومٍ عادة".
فمجرد حضورك في الاجتماع، يشجّع الآخرين فقط وجودك"غير تاركين اجتماعنا، كما لقومٍ عادة بل ونعزي بعضنا بعضًا وحين يقول لك أحدهم: "لا فائدة"!قل له تمسّك بإقرار الرجاء راسخًا، لأن الذي وعد هو أمين
.

بعد أن أخبرنا بولس الرسول بهذا الامتياز العظيم، يقول لنا تحذير "فإنه إن أخطأنا باختيارنا، بعدما أخذنا معرفة الحق، فلا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا"
أي إذا أخطأت بمنتهى حرية الإرادة، أخطأت بدون أي تأثير خارجي، لا من وسطٍ، ولا من ضعف، بكامل حريتك وإرادتك، وبدون أي ضغط عليك، ثم أخطأت بعد هذه المعرفة، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل انتظار دينونة مخيفة، وغيرة نارٍ عتيدةٍ أن تأكل المقاومين
"فكم عقابًا أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقًا من داس ابن الله،
وحسب دم العهد الذي قدّس به دنسًا وازدرى بروح النعمة" (عب 10 : 29)
إذا كان في ناموس موسى نفسه، لو أن أحدًا خالف الناموس، كان يُرجم بلا رأفة، فما هو شكل العقاب لمن داس على دم العهد؟
ثم يختم بولس الرسول بالتشجيع لي ولك "ولكن تذكروا الأيام السالفة، التي فيها بعدما أُنيرتم، صبرتم على مجاهدة آلامٍ كثيرة" (عب 10 : 32)
تذكّر الآلام التي احتملتها في الطريق، تذكّر التعزيات التي عزّاك الله بها في الضيقات، تذكّر كيف ساندتك النعمة في كل تجربة، وفي كل ضيق وحين تتذكّر هذا، يُعطيك الله المثابرة.
"فلا تطرحوا ثقتكم، التي لها مجازاة عظيمة" إياك أن تهتز كما قال القديس يوحنا ذهبي الفم تعليقًا على هذه الآية "نحن واقفون منتظرين نوال الإكليل فلا تطرحوا ثقتكم، التي لها المجازاة
لأنه بعد قليلٍ جدًا الآتي سيأتي ولا يُبطئ آمين تعالَ أيها الرب يسوع.
ولإلهنا المجد دائمًا، أبديًّا، آمين.